أفكار متقاطعة

دمشق تقاوم بالفنون والثقافة أيضاً

■ جورج كعدي

راسمو المؤامرة المجرمة الجهنميّة على سورية الوطن وسورية الأمّة، فاتهم أنّهم سيقفون عاجزين مدحورين عند أسوار دمشق المبنيّة بمداميك العراقة والحضارة والثقافة والتاريخ، وأنّ هذه المدينة الأقدم بين سائر المدن، عصيّة على المجرمين والغزاة، وأنها قلب الأمّة النابض الذي تخفق له قلوب السوريّين حبّاً وشغفاً ووفاءً وعشقاً لعبق الياسمين الفوّاح من حدائق عماراتها التراثيّة الجميلة، فلا ترتوي الحواس من عطر وجمال.

دمشق الجمال، دمشق الحياة، دمشق الإلفة والحب والنشاط الاجتماعيّ والاقتصاديّ والسياحيّ المزدهر، هي أيضاً وعبر الحقب والعصور، دمشق الفنون والثقافة بامتياز، دمشق الكتاب والأغنية والمسرح واللوحة والسينما، دمشق الندوات والأمسيات الشعرية والأدبية، دمشق النشاط الفكريّ المتعدّد والمتنوّع... لا يمكن أن تتنازل عن أدوارها ووجوهها تلك، بل عن رئة الثقافة والفنون والثقافة التي تتنفّس منها، لو اعتبرنا أن الحركة الاقتصاديّة والسياحيّة هي الرئة الثانية، ولا يسعها أن تبدّل رسالتها الحضاريّة، علّة وجودها، حتى في أزمنة الحروب والمحن الكبرى كالتي تشهدها اليوم ومنذ أعوام ثلاثة على التوالي، بلا هدنة وبلا انقطاع.

نرى بعين اليقين دمشق مستمرّة، تحت القذائف المنهمرة من مواقع الإرهاب، في أداء دورها الثقافيّ والفني، لأنّه نَفَسها الطبيعي، به تحيا وتصمد وتقاوم. ندوات ولقاءات فكريّة وأدبيّة وشعريّة، أمسيات موسيقيّة، شرقية وكلاسيكيّة غربية، عروض مسرحيّة، معارض تشكيليّة، رسم ونحت وفوتوغرافيا، نشاطات سينمائيّة متفرّقة تشمل تصوير أفلام جديدة بدعم من المؤسّسة العامة للسينما، فضلاً عن تنظيم عروض أفلام من مختلف الجنسيّات لإشباع شغف هواة السينما المحرومين في فترة الأزمة من متابعة الإنتاجات العالمية الجديدة، إذ بادرت المؤسّسة العامة للسينما، بشخص مديرها النشيط والحيوي والمثقف الأستاذ محمد الأحمد إلى إقامة أسابيع من العروض في صالات دمشقية فاق الإقبال عليها كلّ توقّع، فيما شبح الموت مخيّم في الخارج.

لإرادة الحياة الكلمة الفصل دوماً في المحن والشدائد، يرفض البشر الاستسلام والخوف حين تفرض عليهم الحروب والمؤامرات فرضاً لسلبهم أوطانهم وتاريخهم وحاضرهم ومستقبلهم، ولإخضاعهم لمشيئة الغرب الوحشي المستعمر وأدواته المحليّة من عربان خونة وصهاينة مجرمين أعداء. تصمد الشام وأهلها ليس بالشجاعة والإرادة والتصدّي واليقظة والشهادة فحسب، بل بالفكر والثقافة أيضاً، وبالتعبير الفنّي المتعدّد الشكل والأداة، وبالإبداع الراقي نقيض همجيّة القتل والعصبيّة المريضة المتخلّفة.

تنشط دمشق فكراً ضدّ الظلام والظلاميّين، وفنوناً ضدّ التحريم والتكفيريّين، وشعراً وأدباً ضدّ محطّمي الشعراء والفلاسفة الأعلام (تمثال أبي العلاء في معرّته نموذجاً لهمجية الظلاميّين)، وموسيقى وفرحاً وغناء ضدّ عازفي اللحن الجنائزيّ ومشيعي أجواء الموت والحزن والمأساة. تقاوم دمشق بنور العقل والإبداع ظلمة التعصّب والتحريم والتكفير.

... والنور منتصر دوماً على الظلام وأهله.

تدعو «البناء» قرّاءها المبدعين في حقول الفكر والأدب والشعر والفنون (مسرح، سينما، تشكيل...) والقراءة النقديّة أو التحليليّة للإصدارات الجديدة، إلى المساهمة في صفحتها الثقافيّة، المستعدّة لنشر النصوص القيّمة والصالحة للنشر، واعتبار هذه الصفحة منبراً مفتوحاً لهذه المساهمات التي ترسل «إلى مسؤول صفحة الثقافة» على البريد الإلكترونيّ info@al-binaa.com.

ندوة «الوحدة الحضارية في سورية الطبيعيّة» تسلّط الضوء على ملامح التجانس الحضاريّ

تابعت ندوة «الوحدة الحضارية في سورية الطبيعية» التي يقيمها الحزب السوري القومي الاجتماعي فعالياتها في ثقافي كفرسوسة بمحاضرتين لكل من الدكتورة سوزان ديبو والدكتور عبدالوهاب صالح. وتحدثت الدكتورة ديبو في محاضرتها التي حملت عنوان «ملامح التجانس الحضاري في سورية في عصور البرونز» عن أولى الحضارات التي ظهرت في بلاد الرافدين وتأثيرها في المنطقة السورية. وأشارت إلى أن أول حضارة ظهرت كانت الحضارة السومرية التي كان لها تأثير كبير وواسع وظهرت في سورية وفلسطين ولبنان. وضربت ديبو أمثلة عن صناعة الفخار والتماثيل والمنحوتات عامة وبينت كيف بدأت العناصر البشرية الآتية من سورية تدخل بلاد الرافدين وتشيد ممالك، مظهرة ملامح التجانس بين الحضارات التي تأسست في بلاد الرافدين وتلك التي تأسست في سورية في الألف الثالث قبل الميلاد في عصر البرونز القديم، وصولاً إلى عصر البرونز الوسيط الذي شهد أيضاً قدوم عناصر من العموريين الذين استقروا في بلاد الرافدين ووصلوا إلى فلسطين وكانت لهم ثقافة متجانسة وأدوات ثقافية مختلفة في المنحوتات والصناعات الفخارية والأبنية المعمارية. وتطرقت ديبو إلى عصر البرونز الحديث الذي عاش تأثيرات مستمرة من بلاد الرافدين وأخرى جديدة آتية من البحر من قبرص وجزيرة غريت. وتوقفت بعد ذلك عند عصر الحديد الذي شهد قدوم الآراميين إلى بلاد الرافدين وتأسيس ممالك عديدة، لافتةً إلى تلك التأثيرات التي بدأت في الألف الرابع قبل الميلاد واستمرت حتى عصر الحديد.

في محاضرته التي حملت عنون «الرموز ودلالاتها على الفسيفساء السورية خلال العصور الكلاسيكية» أشار الدكتور صالح إلى أن فن الفسيفساء تطور على الأرض السورية على نحو يتماشى منهجياً مع جميع مناحي الحياة، وخلال العديد من القرون، بحيث لم يتوقف عند العصر البيزنطي إنما شهد نقلة نوعية مع بداية العهد الإسلامي، مشيراً إلى أن الحفريات في المواقع الأثرية في سورية كشفت عن ابتكارات هذا الفن. وأوضح أن أوائل هذه المكتشفات كانت في كل من أنطاكية وأفاميا وتدمر وشهبا ومريامين وبصرى ودير العدس، إلا أن الاكتشافات الحديثة شملت معظم المواقع الأثرية على امتداد سورية وتعرف بمواقع العصور الكلاسيكية، خاصة في الكنائس والأديرة والكاتدرائيات. ولفت إلى أن فن الفسيفساء مر في مراحل عديدة، ففي المرحلة الأولى اعتمد على بساطة الألوان واستعمالها على نطاق محدود كأن تكون ثنائية أو ثلاثية أو رباعية، وكذلك بساطة الأشكال والأسلوب الهندسي.

أشار صالح إلى ظهور الفسيفساء متعددة اللون ضمن الأطر الهندسية ذاتها لتظهر بعد ذلك براعة الفنان السوري في تطوير هذا الفن ودفعه إلى الأمام باستعمال التدرج في اللون والضوء، ورسم الصور والمشاهد التمثيلية والمسرحية في هذه الأعمال، والتبدل في الحركة التي حررت العمل الفسيفسائي من التعابير الجامدة، عبر تراكيب ذات حدة حركية فاعلة وذات نشاط ديناميكيّ كما أغنى التعبير التزييني من خلال الذوق المتجدد باستعمال الديكور المخضر وتكاثر عناصر هندسية أصلية وتناميها. واعتبر أن مرحلة الازدهار العمراني والفني بدأت في القرن الثاني الميلادي وكانت معظم الأفكار التي جسدها الفنانون في تلك الآونة مستخرجة من الفهرس الميثيولوجي التقليدي ومن اللوحات المنفذة في مدينة أنطاكية ومن الأعمال المتكررة التي أظهرت ميادين ومسارح القنطورس والمشهد الحركي المضحك.

وبدأت في الفسيفساء اللاحقة إدخالات جديدة على هذا الفن وفق ما تقتضيه كل مرحلة من أذواق فنية واجتماعية وعقائدية، ما مهد لانطلاقة لامعة ومبدعة امتدت شيئاً فشيئاً لتشمل كامل أراضي الإمبراطورية والمدن السورية القديمة.

ختم صالح قائلاً إن هذه الانطلاقة تجلت في العديد من الأعمال الرائعة التي اكتشفت في مدينة أفاميا، وأهمها تلك التي نفذت في منزل الأعمدة فصارت اللوحات أكثر وضوحاً ونموذجية، خاصة في استخدام الديكور ضمن الأطر العريضة والواسعة ذات الصبغة الهندسية التي تميزت عن النموذج التعبيري في نمط الوجوه الأنثوية النسائية الممثلة على الأرجح لصورة أفروديت.

قذائف الغدر لم تمنع السوريّين من الوقوف في طوابير طويلة لحضور الأفلام العالميّة

دمشق ـ سلوى صالح

رغم قذائف الغدر والشر التي يحاول من خلالها الإرهابيون النيل من صمود السوريين، والتي تستهدف أنحاء متفرقة من دمشق، فإن إرادة الحياة لم تمنع السوريين من الغوص في تفاصيل حياتهم اليومية، بما فيها النشاطات الفنية المختلفة وارتياد الأماكن الثقافية، مع تعطش الناس إلى كل ما هو جميل حجبته سنوات الأزمة التي مرت بها البلاد. ولعل منظر الطوابير الطويلة على شبابيك التذاكر في دار الأسد للثقافة والفنون قبل ساعات من عروض أفلام مهرجان الأفلام العالمية الحديثة التي تعرض في سورية بالتزامن مع عرضها في عواصم السينما العالمية يبرر قرار مؤسسة السينما باعادة أهم الأفلام التي عرضت في المهرجان طوال آذار المنصرم من ناحية، ويبشر بعودة الحراك الثقافي إلى ما كان عليه قبل الأزمة من ناحية أخرى.

لأن دمشق تستحق بجدارة تظاهرة ثقافية كهذه، بحسب تعبير محمد الأحمد، مدير مؤسسة السينما، فإن عدد الأفلام كان مفاجئاً رغم من مقاطعة بعض الشركات السينمائية للمؤسسة، إذ عرض خمسة وسبعون فيلماً مجاناً في المرة الأولى، ويعرض سبعة عشر فيلما حاليا بمعدل ثلاثة أفلام يومياً بسعر رمزي، في أوقات تناسب الجميع الذين يتحدون بحضورهم قذائف الهاون التي تسقط في محيط الدار.

وعرض الأفلام التي قاربت المئة في صالة الدراما التي تتسع لسبعمئة وخمسين مشاهداً، وكانت تغص بالحضور في معظم الأفلام، خاصة فيلم الافتتاح «الكلمات» من بطولة برادلي كوبر ودنيس كوايد وجيريمي آيرونز. كذلك فيلم الخيال العلمي «الجاذبية» للكاتب والمخرج المكسيكي ألفونسو كوارون وتمثيل النجمين جورج كلوني وساندرا بولوك، والفيلم الدرامي الرومانسي غاتسبي العظيم للمخرج الأسترالي باز لورمان، بطولة النجم ليوناردو دي كابريو.

من خلال لقاءات أجرتها وكالة «سانا» مع بعض الذين يقفون في هذه الطوابير كان اللافت أن 99 في المئة ممن يحضرون الأفلام هم من طلاب الجامعات والمعاهد الذين أتاحت لهم عملية اعادة أهم الأفلام فرصة ذهبية لتدارك حضور ما فاتهم من أحدث الأفلام العالمية، في مكان حضاري هو دار الأوبرا.

وأجمع الشبّان والشابات على أنهم حضروا إلى هذا المكان مدفوعين بحبهم للسينما ورغبتهم في الحضور مع زملاء الدراسة للاستمتاع بمشاهدة الأفلام المهمة في سوق الفيلم الدولي، خاصة في هذا المكان الجميل القريب من أماكن دراستهم، بعدما أغلقت معظم صالات السينما في دمشق أبوابها بسبب الأزمة.

يامن شياح، طالب تربية رياضية، يقول إنه حضر فيلم سقوط «اولومبيوس» وفيلم «المشعوذ»، معتبراً أن الافلام المعروضة مميزة، وهو نشاط ثقافي ممتع أدى إلى نشوء حراك طالبي بين زملاء الجامعة، علماً أن سعر البطاقة رمزي لا يتجاوز خمسين ليرة للبطاقة لكون الطالب يحظى بحسم خمسين في المئة. فيما رأى جمال مصطفى طالب معهد تقنيات الكمبيوتر أن فكرة الإعادة جيدة لمن فاته حضور الأفلام في العروض السابقة، والمفيد أن برنامج العروض ادرج على مواقع التواصل الاجتماعي، ما أتاح لأكبر عدد من الطلاب حضور الأفلام المتنوعة التي تناسب جميع الأذواق.

ويقول عمر حمامي: «الأفلام عالمية حديثة ومستواها جيد، لكننا نريد الإكثار من أفلام الرعب والأكشن. الإقبال ممتاز ومجرد دخولنا دار الأسد يشجعنا على حضور الفعاليات الثقافية الأخرى في هذا المكان مثل حفلات الموسيقى والغناء.

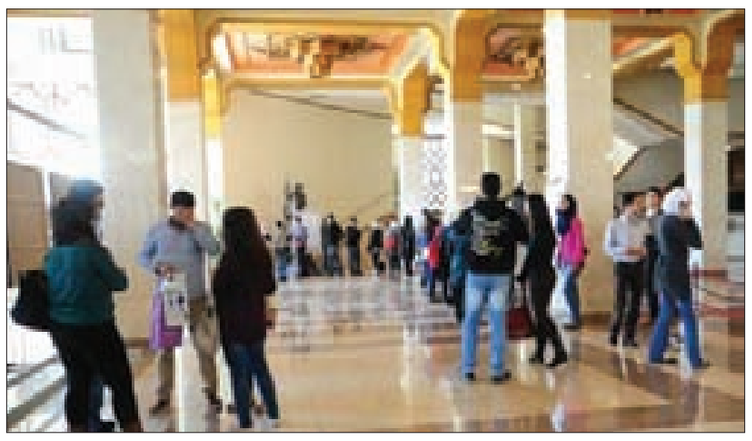

لم أكن أتوقع دخول هذا المكان الفخم بهذه البساطة».

رامي شياح طالب ترجمة: «شاهدت عدة أفلام في عروض آذار، خاصة أفلام الأكشن التي أحبها. وأجمل ما في الأفلام أنها حديثة ومتنوعة، وكنا نتمنى لو أعيدت الأفلام كلها التي عرضت الشهر الفائت، وسبب الإعادة كثرة الإقبال على مشاهدة الأفلام ففي عروض بعض الأفلام كانت تنفد البطاقات قبل ثلاث ساعات من العرض، وكانت العروض مجانية، علماً أن معظم دور السينما أغلقت أو توقفت».

ريما، طالبة هندسة: «أحب أفلام الأكشن وأفلام الدراما عامة لما فيها من لحظات مؤثرة، وأحاول معرفة كل شيء عن الفيلم قبل أن أقرر حضوره، عن طريق الأنترنت أو من الأصدقاء، وأحيانا أختار الفيلم بحسب الممثلين المشاركين فيه. شاهدت ستة أفلام حتى الآن. المكان مميز لكونه في وسط المدينة وقريب من الجامعة. فكرة الإعادة جيدة إذ اختيرت الأفلام التي كان هناك إقبال عليها، ولا أفضل عرضها على مدار السنة لأن ثمة فترة امتحانات وفترات محاضرات».

حسن سلطان يحب الأفلام الكوميدية عامة: «فكرة الإعادة لأكثر الأفلام مشاهدة ممتازة وأحب الحضور إلى هذا المكان مع الأصدقاء. في الوقت الراهن، لا عروض في دور السينما الأخرى، و«سينما سيتي» أغلقت. حتى لو كان هناك عروض لا نستطيع ارتياد السينما في هذه الظروف بسبب توقيتها المتأخر ومعاناة الرجوع الى المنزل. هنا التوقيت والمكان مناسبان وحبذا لو تكون العروض على مدار السنة.

دارين، طالبة اقتصاد، شاهدت فيلما رومانسياً إذ تحب هذه النوعية من الأفلام وحضرت عدة أفلام، وتعتبر فكرة الاعادة جيدة، وتفضل الحضور إلى هذا المكان الراقي لان الأجواء طالبية وقرب الجامعة فضلاً عن أسعار البطاقات الرمزي، وتطالب بعرض أفلام على مدار السنة، خاصة في فترة الأزمة بعدما أصبحت المشاوير محدودة.

ربما كانت فكرة عرض الأفلام على مدار العام جيدة، رغم معارضة البعض هذه الفكرة. لعل متابعة عروض الفن السابع تصبح طقساً يومياً ليس لدى شبابنا وشاباتنا فحسب، بل لدى فئات المجتمع كلها ولدى الفئات العمرية المختلفة. هذا ما يثير استغرابنا وتساؤلنا. لماذا لم تستفد هذه الفئات بفرصة ذهبية كهذه؟!

«زهر الربى» للشاعر علي محمود بكري أوراق في الحب والطبيعة «ليست للبيع»!

رؤوف قبيسي

في إحدى الأمسيات التي تنظمها جمعية «شهرياد» في مقهى «بارومتر» في رأس بيروت، وضع النادل على الطاولة التي كنت أجلس إليها كتاباً في الشعر عنوانه «زهر الربى»، لشاعر لم أكن سمعت قبلاً، اسمه علي محمود بكري.

مرت دقائق ظننت فيها أن النادل سيعود إلي بعد حين، ليسألني إن كنت راغباً في شراء هذا الكتاب، وهو مجموعة شعر، معظمه عامي والآخر فصيح، لكن سرعان ما تبدد ظني، بعدما قرأت على غلافه الخارجي هذه السطور:

باقة حبايب فوق صفحاتو / دقات قلبي وعطر ورداتو
كتابي أنا مش عارضو للبيع / معقول قلب يبيع دقاتو؟!

وجدت في «زهر الربى» شعراً جزلاً. لا أعرف هذا الشاعر كي أحاسنه، ولا أحد سألني رأيي في كتابه، وليس همي ساعة أنظر في كتاب أن أُغضب المؤلف أو أرضيه. أكتب ما أراه الحق والصواب، من دون أن يعني ذلك أنني مصيب كل الوقت، أو مخطىء كل الوقت.

«زهر الربى» كتاب جميل الشكل والمضمون. أفتح الصفحة الأولى فتطالعني قصيدة في قصر الأونيسكو صيغت بشعر لا تصنع فيه ولا تكلف:

قصر الأونيسكو فاتح بوابك / حتى تعانق كل أحبابك
قلبك كبير وعاطفة مليان / إلفة ومحبة زهرو عتابك
صرحك منارة فكر للإنسان / كل الدني بتقرا من كتابك
أهل الثقافة شاعر وفنان / زرعو قصايد الحب بترابك
عا مدخلك تمثال من جبران / «كتاب النبي»مزروع ع تيابك
وحجار قصرك للأدب عنوان / لوحات حلوه زينو جنابك

أقلب الصفحات فتطالعني قصيدتان عن وديع الصافي فيهما كلمات من أغنيات المطرب الراحل:

قطعة سما لبنان غنيتو / وجنوب صامد باركت بيتو
ع البال يا ساكن قلوب الناس / يا سراج من مدة خلص زيتو
على الله تعود يا صافي زمانك / الليالي سهروا عشانك
والعود غافي ع كتف موال / وريشة ناطرة لمسة بنانك

يجتاز صديق للشاعر مرحلة الشباب، ويحال على التقاعد، وإذا هو ينشد:

صار سنينك أربعة وستين / ولوح وراقك يا حلو تشرين
تركت الوظيفة وبيدر الإلهام / وما عدت رفقة تشوف ومحبين
ضاع العمر وتكسروا الأحلام / وما عاد فينا نغازل الحلوين
أول غروب الشمس صرنا ننام / وعمك بومصلح طاولو التقنين
ونشفت جرار الخير من قدام / وراحت علينا واتكى المسكين

الشاعر محب للقرية وما فيها من ماء وثمر وشجر وطير. لنقرأ في هذه القصيدة الجميلة التي إسمها العصفور:

يا ريت يبقى بهالدني عصفور / يرفرف ع كتف الشير
صبحية يتكتك يقللك يا صباح النور/ بحبك أنا لا تقوص علي
اتركني محلق بالسما مسرور / حامل قمح من أرض بكرية
جاعو فراخي بعد شق النور / هني حياتي وضي عيني

«زهر الربى» كتاب يفيض بالجمال، يحببنا بالريف وحياة الريف. وكم كنت أوثر لو أن شاعره اقتصر في شعره على الطبيعة وقلل من شعر المديح الذي يشبه شعر المناسبات، وحذف رسائل ومقالات قيلت فيه وفي شعره. القارىء يشعر عندما يتصفح الكتاب بأن المؤلف أضاف صفحات لا علاقة لها بالشعر ليضاعف من حجم كتابه ويصبح «كتاباً بالفعل». هذا خطأ يرتكبه بعض المؤلفين، إذ يظنون أن الكتاب، أي كتاب، يجب أن يكون بعدد معين من الصفحات ليكون صالحاً النشر!

الكتاب من 200 صفحة، وكان يجمل أن يكون أقل من ذلك. لا أقصد أن ما يجب حذفه رديء، لكن جوهر الشعر في النوع لا في الكم. كثير من الشعر كتبه سعيد عقل وأحمد شوقي، لكن كم من القصائد يحفظها الناس لهذين الشاعرين؟!

لأبي القاسم الشابي قصيدته المعروفة ومطلعها « إذا الشعب يوماً أراد الحياة». قصيدة واحدة خلدت صاحبها، في حين أن شعراء كثيرين نظموا مئات القصائد، لا يحفظ الناس منها شيئاً. الشيء نفسه يقال في الشعر القديم والشعراء الأقدمين، مثل المتنبي وأبي العلاء وأبي تمام وغيرهم.

أعتقد أن على أي كاتب، أو شاعر، أن يستفتي معارفه من أهل الثقافة في كتاب يعده للنشر، ويقف على رأيهم في مسوداته، قبل أن يدفع بها إلى المطبعة. وعلى دور النشر أن تتعاون مع المؤلف في الكتاب وأن تكون مسؤولة عما ينشر.

أخيراً، آمل لو يزيدنا هذا الشاعر الحاذق من صنيعه الصافي، ولا يعتبر ما قلناه نقداً، بل «نصيحة»، مثل القصيدة في كتابه التي يقول فيها:

نصيحة زغيري بدي قدمها بكل مودة / خليها بفكرك ع طول وخبيها تحت مخدي!

«الدين والتصوّر الشعبيّ للكون» كتاباً بحثيّاً يرصد الظاهر والباطن في المجتمع القرويّ المصريّ

كتب محمد الحمامصي: يعالج كتاب «الدين والتصور الشعبي للكون... سيناريو الظاهر والباطن في المجتمع القروي المصري»، تأليف وترجمة السيد الأسود، مسألة مهمة: كيف استطاع الإنسان المصري غير المتخصص أو الفلاح أن ينظم داخليا المعتقدات الدينية، مضيفاً إليها معتقدات أخرى جديدة نجمت عن احتكاكه بالنخبة المحلية وبالثقافات الأخرى عن طريق الهجرة الخارجية الموقتة، والتعليم والمثاقفة والإعلام ووسائل الاتصال السريعة وغيرها من عناصر متنوعة؟ فلا يعالج الدين من المنظور اللاهوتي التخصصي بقدر ما يعالج تصورات الناس لمواضيع تتقاطع مع المعتقدات الدينية والتراث المحلي أو الشعبي المميز لهم، خاصة في ما يتعلق بالكون أو العالم ومكانهم فيه، كاشفاً المشاكل التي تطفو على سطح المجتمع المصري بخاصة والمجتمعات العربية التقليدية بعامة، وتحديداً تلك التي تتمحور حول العلاقة بين الحداثة والتراث، والعلم والتقاليد والتقنية والمعارف الشعبية، والمعلوم والمجهول والعقل والخرافة.

من هنا أهمية الكتاب، فالمرحلة التاريخية الحرجة التي تمر بها المجتمعات العربية متمثلة في الاضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية التي تمخضت عنها توجهات غريبة جديدة غير مسبوقة، مختلقة أكواناً جديدة أحدثها ما عرف بمشروع الشرق الأوسط الكبير. ويرى الباحث أن بعض المفكرين في الغرب يحاولون التركيز على الديناميات الثقافية والسياسية الداخلية في منطقة الشرق الأوسط، مهمشين دور القوى العالمية العظمى ورؤاها التي ظهرت في تحليلاتهم، كما لو كانت تقف موقف المتفرج. وهذا التهميش المتعمد للقوى العظمى هدفه إلقاء اللائمة على الثقافات المحلية والعلاقات الداخلية المتصارعة بين مجتمعات أو أقطار الشرق الأوسط، بحسب ادعائهم، إلى الوضع الراهن المتردي. ويضيف «أن القوى السياسية ـ الاقتصادية ـ مشتملة الاستعمار ونهب ثروات الشعوب، والعولمة والتغريب والهجمة الغربية على التراث المحلي للشعوب بغرض تهميشه والقضاء عليه ـ كلها لعبت ولا تزال تلعب دوراً مصيرياً في حياة المجتمع العربي والفلاحين المصريين، التاريخ يعيد نفسه في العراق وفلسطين إذ لا يزال الاستعمار قائماً رغم الحداثة، بل مستخدماً إياها لكسر الشعوب وخلق كون جديد تحت مسميات الحرية والديمقراطية والتنمية. الطامة الكبرى تكمن في انتشار صرعة الدم بالدم والثأر ـ وهي سمات تتهم بها بعض المجتمعات التقليدية ـ بين حكومات المجتمعات المتقدمة من عدو وهمي تم صنعه من الأكاذيب الملفقة».

يشير الباحث إلى أن الدين لا يزال في المجتمع القروي المصري يلعب دوراً مهماً في سائر المجالات العامة والخاصة: «إن محور الارتكاز في نظرية الخصوصية ـ التي هي جزء من جدل العلمانية في الغرب ـ هو أن الأشكال الدينية التقليدية لم تعد حتمية بالنسبة إلى المجتمع بأكمله، لكنها توجه حياة الأفراد والجماعات الفرعية». ويؤكد أن المضمون المحلي للمجتمع القروي المصري يشمل الدين الحياة الاجتماعية الاجتماعية ويحتويها ويكون نمط التفكير الديني موجها ومرتبطاً في صورة جوهرية بالواقع المتسامي والمقدس الذي يكون موضع الإيمان والتسليم، والذي يمارس تأثيراً عظيماً في الواقع الاجتماعي والكوني من خلال الطاقات الكامنة والقوى المنظورة والقوى غير المنظورة والقوى الخارجية والقوى الداخلية، وإن العلاقة بين الأنماط الدينية وغير الدينية من التفكير هي علاقة تقابل واحتواء معاً، ما يعني أن التفكير الديني يقابل التفكير غير الديني سواء كان سحرياً أو تجريبياً أو علمانياً، ويحتوي عليه في الوقت نفسه طالما أن قيم الأخير بواسطة الأفراد على خير أو شر ومناسبة وغير مناسبة في علاقته بالأول أو الديني، ولعل ذلك يفسر لِمَ يكون التمييز الإخلاقي قوياً اجتماعياً وسياسياً».

حول لقاء الرؤيتين العلمانية والدينية يلفت الباحث إلى أنه لأجل أن تؤدي الرؤية العلمانية وظيفتها على النحو الملائم في المجتمعات الإسلامية، لا بد من أن تنتظم داخل الرؤية الدينية، لكن هذه الرؤية ليست متناسقة مع تصور العلمانية في الغرب، وعلى المستويين القومي والمحلي ظل التعليم الديني حتى بعد تبني التعليم العلماني والتحضر في القرن التاسع عشر، في المقررات الدراسية بصفة جوهرية بل حتى عندما نفذ النظام الاستعماري إلى السياق المحلي عبر التعليم العلماني والاعلام فإن هذه العملية لم تنجح على نحو كامل، إذ كانت هناك دوماً مناطق مقاومة وأصوات رافضة.

يخلص الباحث إلى أن الاعتقاد في الجوانب الغيبية وغير المنظورة والمجهولة من الكون أو العالم أو الحياة هو اعتقاد في الدين والتصور الشعبي للكون، وفي الواقع، فإن تصور الغيب والأفكار المرتبطة بالروحية تقدم إمكان تحقيق تجربة ثقافية ودينية كاملة داخل رؤية كونية شمولية، وهذه الرؤية الكونية الشمولية رعاها كل من رجال الدين والعامة من الناس وعملوا على الحفاظ عليها في مواجهة التغلغل المستمر للعلمانية والعولمة التي وصفت تأثيراتهما السلبية على أنها علامات الفساد الكوني التي سوف تؤدي إلى نهاية العالم. إن مستقبل التصورات الشعبية للكون ليس مرتبطاً بواقع الاهتمام المحلي بصفة خالصة بل بمستقبل التراث والدين في مصر عامة.

صدر الكتاب في منشورات «المركز القومي للترجمة» في 270 صفحة قطعاً كبيراً، ويحتوي على سبعة فصول ومقدمة. عمل مؤلفه عمل أستاذاً في جامعة وين الأميركية ونشر هذا الكتاب باللغة الإنكليزية لدى مؤسسة «برايغر» من مجموعة «غرينوود» للنشر في أميركا.